

واعتبرها الفقهاء « فرض كفاية »^(١) و « فرض الكفاية » غير
« فرض الوجوب أو العين » طبعاً

ولا تقام صلاة الجماعة عند اليهود إلا بشروط ، ومن جملة
هذه الشروط هو « العدد القانوني » أو « نصاب الجماعة » ، ولا يتم
« نصاب صلاة الجماعة » إلا بحضور عشرة رجال بالغين ، وهذا هو
الحُد الأدنى ، ومتى كمل هذا العدد جاز أداء الصلاة جماعة^(٢) . ولم
يشترط المسلمون في صلاة الجماعة أي شرط من هذا التيبيل فإزاد
على الواحد عدد جماعة وجازت لذلك صلاة الجماعة إلا في صلاة الجمعة
إذ جعل العدد أربعين فما فوق وهي صلاة جماعة طبعاً^(٣) .

ويحتاج المسلمون في صلاة الجماعة إلى إمام يؤم المؤمنين في
الصلاة ، ويطلق المسلمون عليه كلمة « إمام » أو « إمام الجماعة » ويطلق
اليهود عليه لفظة « شليح صبور » أو « حزان » ومعنى الكلمتين
« التندوب عن الجماعة »^(٤) . وليست الإمامة في الصلاة عند
اليهود وظيفة دينية رسمية في الأصل ؛ إذ يستطيع أي مصلح من
المصلين إمامة إخوانه في الصلاة إذا كانت له المؤهلات الكافية
والصفات التي يجب أن تتوفر في الزهاد والمؤمنين^(٥) . ثم خصصت
الإمامة « شليح صبور » (حزان) في أشخاص معينين يمارسون
هذه المهمة ويقومون بتنفيذ طقوس الصلاة . وهذا التخصيص
هو من قبيل العرف والمادة فقط إذ لا يتيسر في الغالب لجميع
المؤمنين معرفة قواعد النيابة ولا سيما بعد القضاء على الملكة اليهودية
وبعد تشتت شمل اليهود وتكلمهم بلغات جديدة هي لغات البلاد
التي رحلوا إليها وإغفالهم أمر اللغة العبرية حتى غدت لغة غريبة
بالنسبة لأكثر العبرانيين الذين ارتحلوا إلى البلاد الأجنبية فاحتاج
اليهود بحكم الضرورة لا بحكم الدين إلى « إمام » يحسن اللغة
العبرية القومية ويحفظ القطع المقدسة التي تتلى في الصلاة وأصبح
هؤلاء الذين لم ينسوا لغتهم وأمور دينهم بمرور الزمن أئمة
ورجال دين .

الأذان في الإسلام

للدكتور جواد علي

تتطلب بعض الأديان من المرء الحضور إلى المبد لتأدية فريضة
الصلاة مع إخوانه المؤمنين؛ والصلاة في هذه الحالة « صلاة جماعة » .
والإلآن تتقبل له صلاة . ولم تشترط الديانة اليهودية هذا الشرط
في أداء صلاة « التفتية » . واليهودي يختار بين أداء هذه الصلاة
في بيته أو في حديثه أو في العراء أو في أي مكان آخر ، وبين أداؤها
جماعة في « الكنيس »^(١) مع إخوانه وأبناء دينه^(٢) . على أن
من المستحب في الديانة اليهودية حضور المؤمن صلاة الجماعة لما في
ذلك من ثواب عظيم وأجر عند الله كبير^(٣) .

وقد حثت البركة الثامنة من البركات الثماني عشرة^(٤) للمؤمنين
من الإسرائيليين على حضور صلاة الجماعة في الكنيس « تورا »
« Thora » جاء « من قرأ التوراة وقام بالأعمال الحسنة المحبوبة ،
ومن أدى الصلاة جماعة اعتبره الله في جملة عباده وخدمه وفي جملة
أولئك الذين يساعدون أبناءه في الخلاص من أيدي أبناء الشعوب
الأخرى »^(٥) وجاء في الحديث المأثور « من أحجم عن زيارة
كنيس مدينته عدت جارسوء لهذا الكنيس »^(٦) .

أما في الإسلام فالسليم يختار بين أداء صلاة جماعة وبين أداؤها منفرداً
في أي مكان شاء . وقد راعت من هذه الناحية الحكمة العملية التي
تتطلب التساهل في هذا الباب . ولكنها حثت من جهة أخرى
على صلاة الجماعة ورغبت المسلمين في ثوابها وفي التسابق إليها^(٧)

(١) الكنيس ومناماً المجمع أو المجلس وهو المحل الذي كان يجتمع
فيه اليهود لدراسة الكتاب للقدس والقيام بواجب العبادة بعد خراب المبد
على يد الإمبراطور الروماني « تيتوس » فصار اليهود يجتمعون في محل واحد
في المدن الكبرى . « مدراس » .

(٢) راجع P. 21 Mittwoch . راجع دائرة المعارف لليهودية
في مادة « Prayer » .

(٣) Mittwoch. P. 21 .

(٤) بركات شجرة عشرة : mixhuà Beràkboth .

(٥) Beràkhat. 8 a Mittwoch. P. 21 .

(٦) Beràkboth. 8 a Mittwoch. P. 21 .

(٧) راجع كثر المال ج ٤ ص ١١٨ ص ٤٣ ٢٠٤٣ P. 21 Mittwoch .

(١) راجع الكنيستفتية . أيضا P. 81 Mittwoch. P. 21 Junyboil .

(٢) Rاجع تاريخ اليهود في صل School

and Synagogue. Vol. 2 P. 44 .

(٣) راجع الكنيستفتية في بحث الصلاة . أيضا P. 21 Mittwoch .

(٤) راجع P. 22 Mittwoch أيضا كراتس : تاريخ اليهود في فصل

The Priesthood P. 3, 7 وفي School and Synagogue. Vol. P. 44

Mittwoch. P. 22 (٥)

لصلاتهم؟ فقال هو من أمر اليهود. فذكره الناقوس النسي يدعو به
النصارى لصلاتهم فقال هو من أمر النصارى. فقالوا لودقنا ناداً
فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة، فقال ذلك للمجوس. (١)
وجاء في الأخبار أيضاً أن الرسول (ص) قال: «أولا تبعثون رجلاً
ينادي بالصلاة؛ فمضوا ذلك» (٢) وكان اللفظ الذي ينادى به بلال
قبل رؤيا عبد الله: «الصلاة جامعة» (٣) وجاء أيضاً: «أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالناقوس فتحت ليضرب به للمسلمين للصلاة.
فبينما هم على ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه آخر
بلحريث بن الخزرج النداء، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طائف من منى رجل عليه ثوبان
أخضران يحمل ناقوساً في يده؛ فقلت له يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟
قال وما تصنع به؟ قلت ندعو به إلى الصلاة. قال أفلا أدلك على خير
من ذلك؟ قلت وما هو؟ قال تقول: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن
لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله،
أشهد أن محمداً رسول الله، حتى على الصلاة، حتى على الصلاة، حتى
على الفلاح، حتى على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.
فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنها لرؤيا حق إن شاء الله.
فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فإنه أبدي صوتاً منك. فلما أذن
بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته، فخرج إلى رسول الله
وهو يجر رداءه وهو يقول: يا نبي الله! والذي بعثك بالحق لقد رأيت
مثل الذي رأى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد على ذلك» (٤).

تلك هي قصة الأذان في الإسلام. وهي قصة تناقض وأى
من قال من المستشرقين بأن الأذان في الإسلام إنما هو ترديد
لأذان اليهود أو لأذان النصارى وهو دق الناقوس. (٥)

أما في مكة ومكة والمدينة فلم تكن هنالك ضرورة للأذان، لأن
الحكم كان للوثنية، ولأن الجماعة الإسلامية لم تكن سوى أقلية
لا قبل لها بالتظاهر أمام الوثنيين. فلما استقر النبي (ص) في المدينة
وتكاثر عدد المسلمين أصبح الأذان ضرورة لا بد منها، ولم تعد

(١) البيرة الحلية ج ١ ص ٤٨٢.

(٢) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح. للحسين بن المبارك
الزبيدي ج ١ ص ٥٤.

(٣) البيرة الحلية ج ١ ص ٤٧٧.

(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٠٦ في باب خبر الأذان - البيرة الحلية
ج ١ ص ٤٨٠. الطبقات ج ١ ص ١٦٠.

(٥) Mittwoch, P. 22

وهذا هو عين ما حدث في الإسلام. فالديانة الإسلامية لم
تحن مبدئياً طبقة خاصة لتقوم بواجب «الإمامة» في الصلاة.
ولم تعترف طبقة «كهنوتية» تحتكر لنفسها تعليم الدين وإقامة
شماره من دون سائر الناس. ولا إمامة الناس في الصلاة دون سائر
المؤمنين المسلمين. وقد كان النبي (ص) نفسه يأتهم بغيره كما كان الصحابة
يأتهم بعضهم ببعض. نعم قد كان الرسول ينص على صحابي معين
بإمامة الناس في الصلاة؛ ولكن ذلك لا يعنى حصر الإمامة فيه
ما دام حياً بل كان ذلك في ظروف خاصة وأحوال معينة. جاء
عن مالك بن الحويرث أنه قال: «أبى النبي صلى الله عليه وسلم
في نفر من قومي فأثنا عند عشرين ليلة، وكان رحياً رفيقاً؛ فلما رأى
شوقنا إلى أهلينا قال ارجعوا فكفرتوا فيهم وعلوهم وسلوا؛ فإذا
حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم» (١).

وحدث مثل ذلك من الخلفاء الراشدين: كانوا يعينون رجلاً
بينه مع الأمير أو القائد لإقامة الصلاة. أو كانوا ينصون على الأمير
نصاً بإمامة الناس في الصلاة. غير أن ذلك لا يعنى كما قلنا آنفاً
أن الإمامة مرتبة من المراتب الدينية أو وظيفة معينة لا يتقلدها
إلا بعض الأشخاص من ذوى الرتب والدرجات الروحية. وإذا
كانت الإمامة في المساجد اليوم تعييناً - في بعض البلاد الإسلامية
فإن ذلك لا يعنى شرعاً أن الإمامة في المساجد لا تكون إلا لهؤلاء
الأئمة فقط، بل من الجائز لأى شخص آخر ولو كان من غير رجال
الدين أن يؤم المسلمين في نفس ذلك المسجد. وتعيين هؤلاء الأئمة
ليس إلا ضمناً لإمامة المسلمين في الصلاة حين خلوا المسجد ممن
يحسن قواعد الصلاة وأمورها كما يجب وفق أحكام الشرع.

وتسهيل تعيين مواقيت الصلاة ولدعوة الناس إلى عبادة
ربهم في الأوقات الخاصة اتخذت الأديان طرقاً مختلفة للدعوة إلى
الصلاة. من هذه دق الناقوس أو التبريق أو إشعال النار إلى
آخر ما هنالك من علامات. وقد شعر المسلمون بهذه الحاجة حين تكاثر
عديم وتزايد جمعهم حتى شمل أكثر أهل المدينة. وشعر النبي (ص)
تعمه هذه الحاجة، وتشاور مع أصحابه في المسألة فقبل له «انصب راية
عند حضور الصلاة فإذا رآها الناس آذن. فلم يعجبه ذلك؛ فذكر له
بوق اليهود. وقال له الشبور أو القبع وهو القرن الذى يدعو به
(١) جامع التبريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح. ج ١ ص ٥٥.

وساد الأذان في داخل المسجد بصورة مختصرة إذ تذكر عبارات الأذان مرة واحدة قبل للبشارة بالصلاة ، وطلق على هذا الأذان كلمة « إقامة »^(١).

فالأذان كما رأيت ضرورة من الضرورات التي اقتضتها الظروف الاجتماعية والسياسية التي نشأت في المدينة . ويقول المستشرق بيكر « Becker » : « الأذان في الإسلام لا يمثل فكرة الدعوة إلى الصلاة ، أو بتعبير آخر : الأذان تماماً لأن عناصر الدعوة إلى الصلاة فيه قليلة أو تكاد تكون معدومة ؛ فهي لا تشمل فيه تمام التمثيل^(٢) . وليس الأذان على رأيه إلا قطعة من القطع الكنائسية التي يرددها الكاهن والشمامس حيث الترجيع الديني بين الاثنين . يقوم الإمام في الإسلام مقام الكاهن ؛ أما المؤذن فيؤدي واجبات الشمامس^(٣) .

وهذه النظرية خاطئة طبعاً ؛ فالأذان وإن كان بيده الإمام إقامة . فإن المصلين يعيدونه أيضاً . ولا وجه للشبه أبدأ بين الترجيع الديني في الكنائس وبين الأذان عند المسلمين^(٤).

وذهب المستشرق اليهودي ميتوخ إلى أن الأذان في الإسلام مأخوذ من الأذان عند اليهود . وحجته في ذلك هو دعوة المؤذن « اللاويين » إلى الصلاة وعادة النفخ في الصور (البوق) . تلك العادة التي لا زال اليهود عارسونها حتى اليوم في طقوسهم الدينية في نهاية السنة ، والتي كانوا يمارسونها سابقاً في عهد الهيكل لإعلان أوقات الأضحية ، وفي أيام الجمع قبيل قدوم المساء لإعلان قدوم السبت إلى الجمهور . وفي عهد التلمود المتأخر^(٥) .

أما حجته في أن اليهود يدعون طبقة اللاويين إلى أخذ علامتهم قبل البدء في الصلاة وتلك الدعوة هي علامة الأذان أو الأذان بعينه ، فإن تلك الدعوة هي دعوة خاصة في داخل « الكنيس » بينما الأذان دعوة عامة لجميع المصلين السامعين . وعبارات الأذان الإسلامي تختلف كل الاختلاف عن عبارات دعوة اللاويين . وإليك هذه الدعوة : أيها الكهنة استعدوا لأعمالكم . أيها

كلمة « الصلاة جامعة » تكني لأداء وظيفة إسراع الناس في أقاصي المدينة وكل المسلمين شوقاً لأداء الفرائض مع النبي (ص) فصار بلال يدعو إخوانه من علم إلى الصلاة بالشكل المعروف . واقتصرت كلمة « الصلاة جامعة » على صلاة العيدين حتى ينادى بها إلى اليوم^(١) وكانت هنالك كلمة أخرى بسيطة يرددها المسلمون قبل معرفتهم الأذان ؛ والظاهر أنها كانت أبسط شكل من أشكال الأذان هي « الصلاة . الصلاة »^(٢) ولعلها أقدم عهداً من كلمة « الصلاة جامعة » وهذا الشكل البسيط من الدعوة إلى الصلاة كان يردده الخلفاء أنفسهم حين يحثهم إلى المسجد صباحاً على الأخص لتبنيه التامين . وطالما قرأنا في كتب التاريخ كلمة « الصلاة . الصلاة يرحمكم الله » لتبنيه القائلين إلى الصلاة ولا زالت مستعملة إلى الآن في صلاة الصبح جماعة على الأخص .

ويتألف الأذان الذي أقره الرسول (ص) من سبع فقرات ، السادسة منها تكرار للأولى . وتردد العبارة الأولى أربع مرات متتاليات ، والمالكية يرددها مرتين ، كما تردد كل عبادة من العبادات الأخرى مرتين ما عدا العبادات الأخيرة فينادى بها مرة واحدة فقط . وبعد أن يؤذن بالعبارتين الثانية والثالثة مرتين يرفع الصوت بها عند المرة الثالثة . وقد أوصى بهذا الترجيع الشرع . أما الحنفية فرفضه . ويضاف إلى أذان الصبح عبارة « الصلاة خير من النوم » عند أهل السنة ، وتردد مرتين « توب » بين العبارة الخامسة والسادسة^(٣) .

ويتفق المسلمون جميعاً على صيغة الأذان ؛ وهذا يدل على أنه كان على هذه الصورة منذ عهد الرسول . غير أن هنالك خلافاً بسيطاً بين أهل السنة وبين الشيعة في عبارة « أشهد أن علياً ولي الله »^(٤) التي تردد مرتين بين الفقرتين الثالثة والرابعة ؛ وفي عبارة « حي على خير العمل » التي تردد مرتين بين الفقرتين الخامسة والسادسة^(٥) .

(١) Mittwoch. P, 26 . ام . ص ٢٠٨ ويرد أيضاً في الصلاة .

أو حلم للصلاة .

(٢) كترالجمال ج ٤ ص ٢٦٥ (مرة ٤٦٩) . Mittwoch. P, 25 .

(٣) واجمع دائرة المعارف الإسلامية . الترجمة العربية ج ١ ص ٦١ .

في مادة الأذان .

(٤) واجمع الكتب الفقهاء الشيعة مثل شرح اللغة ومن

لا يحضره لفقهاء .

(٥) Snk Hergronie mekka. Vol. 1 P, 63 De Sacy Grest

. Arab Vol 1 P. 160 — 169

Mittwoch. P, 26 (١)

Becker Kultus. P, 387 Mittwoch. P, 23 (٢)

(٣) نفس المصدر .

Mittwoch. P, 23 f. (٤)

Mishna Sukkà. 5, 5 Mittwoch 23, (٥)